الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في الكتاب والسّنة والأدب

الأستاذ المساعد الدكتور
عاطي عبيات

المدرس الدكتور
حسين جوبين النجفي

جامعة الشهيد جمران ـ جمهورية إيران الإسلامية

المقدمة:

وُلِدَ الإمام الحسن عليه السلام في ليلة الثلاثاء، ليلة الخامس عشر من شهر رمضان المبارك في السنة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة، قبل معركة أحد. فالإمام الحسن بن علي بن أبي طالب المجتبى عليه السلام.

كانت طفولة فريدة نمت وترعرعت في أجواء الدين وعبق الرسالة في السنوات السبع الأخيرة من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله حين وطد أركان الدولة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وسقطت جميع حصون الشرك والكفر وأمنت الدولة الفتية وثغورها. ثاني أئمة أهل البيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيّد شباب أهل الجنة بإجماع المحدّثين، وأحد اثنين انحصرت بهما ذريّة رسول الله، وأحد الأربعة الذين باهى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله نصارى نجران، ومن المطهّرين الذين أذهب الله عنهم الرجس، ومن القربى الذين أمر الله بموّدتهم، وأحد الثقلين الذين من تمسّك بهما نجا ومن تخلّف عنهما ضلّ وغوى.

فالتاريخ كما هو معروف ذاكرة الأمة، ومستودع تجاربها ومعارفها وهو عقلها الظاهر والباطن وخزانة قيمها ومآثرها وأساس شخصيتها الغائرة في القدم والممتدة مع الزمن وله صلى الله عليه وآله سيرة لّما تستكشف أعماقها ولخلفائه الراشدين تاريخ حافل عظيم، ولأمته تاريخ يزهو على تاريخ الأمم والشعوب والدول، فعلينا أن نستفيد من هذا التاريخ العريق ونستخرج منه الدروس والعبر والمواعظ والسنن، ونستوعب فقه الحضارات، ونستلهم من القصص القرآني، والهدي النبوي والبعد

التاريخي، رؤية شاملة لنهضة الأمة الإسلامية بما يتلاءم مع حاضرها كي تقوم بدورها الحضاري المنشود في هداية الناس. ومن الشخصيات التي حدّثنا التاريخ عنها والتي كان لها الأثر الكبير في تشييد الحضارة الإسلامية على المستوى الديني والفقهي والاجتماعي والسياسي وغيرها هي شخصية الإمام الحسن عليه السلام.لذلك آثرنا التعريف عن تلك الشخصية الدينية الرفيعة عبر القرآن الكريم والسّنة النبوية والأدب من أجل تنوير عقول الأمة الإسلامية والآخذ بمآثر تلك الشخصية المقدسة في حياتهم اليومية.

١ـ كلمة (الحسن) في المعاجم اللغوية.

كلمة (الحسن) هي صفة مشبهة من الفعل المجرد(حَسُنَ) بمعنى:(جَمُلَ) والمصدر:(حُسناً)،ومعنى (الحُسن): الجمال وكل مبهج مرغوب فيه (معجم الوسيط،١٩٧٢م: ١٧٤) وللفعل المجرّد:(حَسُنَ): ابواب مزيدة، أشهرها:

١- باب الأفعال: أحَسنَ إحساناً.

٢- باب التفعيل: حَسّنَ تحسيناً.

٣- باب التفعّل: تَحسّن تحسُّناً.

٤- باب الاستفعال: استحسن استحساناً.

وكلمة الأحسنُ والمؤنث الحسناء هي صفة مشبهة، وكلمة الأحسنُ والمؤنث الحُسنى هي أفعل تفضيل وفي التنزيل العزيز: (ولله الأسماء الحسنى)، وكلمة حِسان فهي جمعٌ للأحسن والحسناء (للمذكر والمؤنث) (المصدر السابق، ١٧٤).

والحُسنيين تعني الظفر والشهادة (الفيروز آبادي،٢٠٠٣: ١٠٩٦) ومنه قوله تعالى: ﴿إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ (التوبة:٥٢).

والحسنة ضدّ السيئة من قول أو فعل، وكلمة (المحسنة) بمعنى ما يُحسن وجمعها: المحاسن.

٢ـ كلمة (الحسن) في القرآن الكريم.

كلمة(حَسَن) كاسمٍ خاص لم ترد في الذكر الحكيم، وإنّما وردت كصفة مشبّهة من حيث الصرف، وصفة لموصوف من حيث النحو، فقد وردت عبارة: (قرضاً حسناً) في ستّ آيات، واما عبارة: (رزقاً حسناً) في أربع آيات وعبارة: (أجراً حسناً) في آيتين وعبارة: (وعداً حسناً) في آيتين أيضاً.

فقد جاءت كلمة(حسناً) في القرآن الكريم صفة للرزق والقرض وللأجر وللوعد من الله عزّ وجل، كما جاءت صفة في عبارة (بقبولٍ حسنٍ) في سورة آل عمران ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ (آل عمران ٣٧)، وصفة في عبارة: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى..﴾ (هود:٣) وصفة في سورة آل عمران: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ (آل عمران ٣٧) ومفعولاً ثانياً في عبارة: ﴿فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (فاطر:٨).

وكلمة (حسنة) وهي مؤنث لكلمة (حسن) فقد جاءت في آيات عدة في كتاب الله عزّ وجل وهي خارجة عن بحثنا، وتُذكر في آية واحدة فقط حيث جاءت صفة في عبارة (الموعظة الحسنة) (النحل: ١٢٥).

٣ـ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في القرآن الكريم.

المتتبع للنصوص الإسلامية قرآناً وسُنةً يجد وبوضوح أنّه لم يرد في القرآن الكريم والسُنّة النبوية المطهّرة في أحدٍ مثلما ورد في أهل البيت عليهم السلام من تعداد فضائلهم المتميزة ومناقبهم التي اختصوا بها من بين أفراد الاُمّة وحازوها من دونهم عرض الكتاب الكريم جوانب مهمة من فضائل أهل البيت عليهم السلام وموقعهم المتميز في حياة الاُمّة، فأكد على حالة الاقتران بين الرسول الاَعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، ومن الشواهد المتفق عليها آية المباهلة وآية التطهير، وأكد على أهمية الولاء والحبّ لأهل البيت عليهم السلام وأوجبه على المسلمين، كما جاء في آية المودّة، وثمة مظاهر متعددة من فضائلهم ومناقبهم التي اختصوا بها تدل عليها الآيات الكثيرة النازلة في حقهم.

لقد نزلت مجموعة من الآيات القرآنية في حقّ الإمام الحسن عليه السلام منضماً مع رسول الله صلى الله عليه وآله ووالديه الإمام علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام وأخيه الحسين عليه السلام، ومن تلكم الآيات:

١-٣- قصة المباهلة.

قصة المباهلة مع نصارى نجران في المدينة المنورة، وهي أشهر من أن تُذكر وقد أشير فيها إلى الإمام الحسن عليه السلام بصراحة في قوله (أبناءنا) قال تعالى: ﴿مَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران:٦١)، وجاء في تفسير الميزان ((أنّ المباهلة والملاعنة وإن كانت بحسب الظاهر كالمحاجّة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين رجال النصارى لكن عمّت الدعوة للأبناء والنساء)) (طباطبائي، ١٩٧٢، ج٣:٢٢٣) وكان فيها الإمام الحسن المجتبى مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام وأبوهما عليّ وأمهما فاطمة عليها السلام مع جدّهما النبي محمد صلى الله عليه وآله. ونشير إلى أنّ ((لابتهال من البهلة بالفتح والضم وهي اللعنة، هذا أصله ثم كثُر استعماله في الدعاء والمسألة اذا كان مع اصرار والحاح)) (السابق: ٢٢٤).

هذا الرأي هو الأصل اللغوي، أمّا من ناحية (المفهوم المتداول) الذي أشير إليه في الآية، فالمباهلة الملاعنة بين شخصين، من هنا فعندما لا تجدي الاستدلالات المنطقية، ويجتمع الذين يدور بينهم جدول بشأن مسألة دينية مهمّة ويتضرعون إلى الله سائلين منه أن يفضح الكاذب ويعاقبه، وهو ما فعله النبي صلى الله عليه وآله في مواجهة نصارى نجران، حيث أشير إليه في الآية.

وردت روايات كثيرة تعد موثوقة ومعتبرة في مصادر أهل السنّة ومصادر أهل البيت عليهم السلام حيث تفيد بصريح القول: إنّ آية المباهلة نزلت بحق على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. ومن هذه الروايات:

أ: روي في صحيح مسلم في كتاب (فضائل الصحابة) في باب فضائل على ابن أبي طالب عليه السلام عن سعد بن أبي وقاص أنّ معاوية قال لسعد: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبّهُ لئن تكون لي واحدة منها لكانت أحبّ إلى من حمر النعم، ثم أخذ يذكر قصة حديث المنزلة في (معركة تبوك) وقصة اعطاء الراية لعلي عليه السلام أبان معركة خيبر، ثم يضيف: ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهم هؤلاء أهلي (صحيح مسلم، ج٤، ص١٨٧١، ح ٣٢، الباب ٤).

روى هذا الحديث جماعة آخرون من عظماء أهل السنّة مثل! الترمذي في صحيحه (صحيح الترمذي، ج٥، ص٦٣٨، ح ٣٧٣٢). فبعد نقله يضيف. يقول أبو عيسى: إنّه حديث حسن وصحيح وغريب (لعل غرابته تكمن في عدم اتفاقه مع حكمه المسبق المليء بالتعصب). (أحمد بن حنبل في مسنده (ج١، ص١٨٥). والبيهقي في السنن الكبرى (السنن الكبرى، طبقاً لنقل الفضائل الخمسة، ح١، ص٢٩١).

ب: وفي موضع آخر من صحيح الترمذي أيضاً نقل الحديث عن سعد بن أبي وقاص: إنّه لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال: اللّهم هؤلاء أهلي (الترمذي،ج٥، ص٢٢٥،الباب ٤، ح ٢٩٩٩).

ت: يروى السيوطي في (الدر المنثور) عن (الحاكم)، و(ابن مردويه) و(أبو نعيم) في (الدلائل)، عن (جابر بن عبد الله الأنصاري): لما عزم النبي صلى الله عليه وآله على مباهلة النصارى، أخذ في اليوم التالي بيد على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام واتى بهم إلى المباهلة، لكنهم لم يباهلوا، ثم يضيف جابر: إنّ آية ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ نزلت بحق هؤلاء (تفسير در المنثور، ج٢ ص٣٨ ذيل آية البحث).

ث: ويروي عن ابن عباس في كتاب الدر المنثور نفسه أنّ وفد نصارى نجران جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وبعد تفصيله لقصة المباهلة ورجوع نصارى نجران يضيف: كان هذا لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وكان معه على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال لهم: إن دعوت أنا فأمنوا أنتم، فأبوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية.

ج: وفي نفس الكتاب يروى عن (ابن جرير) عن (العلباء بن أحمر اليشكري، عندم (تفسير در المنثور، ج ٢، ص ٣٩) نزلت آية قل تعالوا ندعُ ابناءنا ودعا النبي صلى الله عليه وآله بعلي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين عليهم السلام واقترح على المخالفين المباهلة فأبو (المصدر السابق).

خ: يروي العلاّمة الطبري في تفسيره وبسنده عن (زيد بن علي) في تفسير هذه الآية: كان النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (تفسير جامع البيان، ج٣، ص١٩٢ (وفقاً لنقل احقاق الحق، ج٣، ص٤٧).

ح: ويروي في نفس الكتاب أيضاً بسنده عن السدّي في ذيل هذه الآية: أخذ النبي بيد الحسن والحسين وفاطمة وقال لعلي اتبعنا (السابق).

د: يقول العلاّمة (أبو بكر الحصاص) وهو من علماء القرن الرابع الهجري في كتاب (أحكام القرآن) في تعبير مفيد بصدد المباهلة: أنّ رواة السير ونَقلةَ الأثر لم يختلفوا في أنّ النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة عليهم السلام ودعا النصارى الذين حاجّوه إلى المباهلة (أحكام القرآن للجصاص، ج٣، ص١٤) وعلى ضوء قول الحصاص فإنّ هذه القضية محل إجماع واتفاق علماء الحديث والتاريخ جميعاً.

لقد حاز أهل البيت عليهم السلام على أهمية بالغة في القرآن الكريم، وأشار إليهم في غير واحد من آياته ببيان سماتهم، وحقوقهم، و ما يمت إليهم بصلة، لاسيما آية التطهير المعروفة بين المسلمين، أعني: قوله سبحانه:

٢-٣- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.(الأحزاب: ٣٣).

إنّ المعروف بين المفسرين والمحدّثين، هو انّ المراد من أهل البيت في الآية المباركة، العترة الطاهرة الذين عرّفهم الرسول صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، وقال: ((إني تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه، وعترتي)). فعن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام (المجلسي، ٣٥، ح١:٢٠٦) وهذا الحديث من الأحاديث المستفيضة التي اتفق على روايتها كتب الفريقين، وتُعرف هذه الآية بآية التطهير، ويُعرف هذا الحديث بحديث الكساء والتطهير بدليل كلمة الحصر وهي(إنّما) خاصّ بأهل البيت ومنهم الإمام الحسن عليه السلام وكبار إخواننا أهل السنة ومنهم "ابن حنبل" يجزون جزماً قاطعاً بأنّ آية التطهير مختصة بالنبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

فآية تطهير نزلت بحق النبيّ محمد صلى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام فالله عزّ وجل طهّرهم من كل رجس فهؤلاء معصومون ومؤهلون لريادة الأمة وقيادتها وهدايتها نحو الخير والصلاح.

وفي آية أخرى يكرم الله أهل البيت ومن ضمنهم الإمام الحسن عليه السلام في سورة الإنسان بقوله تعالى:

٣-٣- سورة الإنسان.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

قال ابن عباس: إنَّ الحسن والحسين مرضا فعادهما الرسول صلى الله عليه وآله في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما

إنْ برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام (طبقاً لبعض الرّوايات أنَّ الحسن والحسين أيضاً قالا نحن كذلك ننذر أن نصوم) فشفيا وما كان معهم شيء، فاستقرض عليعليه السلام ثلاث أصواع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزته، فوضعوا الأرغفة بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل، وقال: السلام عليكم، أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثزوه وباتوا لم يذوقوا إلاّ الماء وأصبحوا صياماً. فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه (وباتوا مرة أُخرى لم يذوقوا إلاّ الماء وأصبحوا صياماً) ووقف عليهم أسير في الثّالثة عند الغروب، ففعلوا مثل ذلك. فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، قال: (ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم) فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها، وغارت عنياها، فساءه ذلك، فنزل جبرئيلعليه السلام وقال: خذها يا محمد هنّأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة. وقيل: إنّ الذي نزل من الآيات يبدأ من: (إنّ الأبرار) حتى (كان سعيكم مشكوراً) ومجموعها (١٨ آية) نقلت هذه الرواية في (كتاب الغدير، ج٣، ص١٠٧ إلى ١١١ وفي كتاب إحقاق الحق، ج٣، ص١٥٧ إلى ١٧١ عن ٣٦ نفر من علماء أهل السنّة مع ذكر المأخذ) ونقل كذلك جمع كثير من كبار علماء أهل السنة في أنَّ سبب نزول الآيات الواردة في صدر السورة (أنّ الأبرار ...) قد نزلت في حق عليّ وفاطمة الزهراء والحسن والحسينعليهم السلام وهي شهادة على مدنيّة السورة (لأن ولادة الحسن والحسينعليهما السلام كانت في المدينة) كالواحدي في (أسباب المنزل) والبغوي في (معالم التنزيل) وسبط بن الجوزي في (التذكرة) والكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) وجمع آخر (إحقاق الحق، ج٣، ص١٥٧ - ١٧٠).

٤-٣- وقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ (النمل: ٥٩).

عن ابن عباس قال: هم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله: عليّ ابن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وأولادهم الى يوم القيامة، هم صفوة الله

وخيرته من خلقه (بحار الأنوار ٤٣: ٢٧٩).

٣-٥ - وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ (الحديد: ٢٨). عن الصادق عليه السلام قال: الكفلين: الحسن والحسين (بحار الأنوار ٤٣: ٢٧٩)

٣-٦- وقوله تعالى في سورة الشورى:

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (الشورى:٢٣)

فالنبيّ الأكرم لم يطلب أجراً من الناس مقابلة دعوته الراشدة التي أخرجهم بها من الظلمات إلى النور بل أجره الوحيد الذي طلب منهم هو محبة ومودّة أهل بيته أي: ذو القربى وهم عليّ وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام.

٣-٧- وقوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

فالله عزّ وجل يطلب من المؤمنين والمسلمين الوحدة ورص الصفوف والابتعاد عن التفرقة وعن كلما يفرقهم لانّ التفرقة تسبب في ضعفهم وتشتتهم، لذلك يدعوهم إلى الإلتجاء بحصن حصين وسور عظيم وهذا الحصن والسور هم البيت عليهم السلام المراد بالحبل المذكور في الآية الكريمة لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أوصاهم بالتمسك بالثقلين أي: القرآن وعترة أهل بيته وفي حديثه المشهور: (إنيّ تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترة أهل بيتي، فانّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) (الرازي، ٢٠١) فهذا الحديث الشريف هو المصداق الشهير، لحبل الله والذي دعا الله عزّ

وجل الأمة بالاعتصام إليه. فأهل البيت عليهم السلام ((هم مصاديق القرآن الكريم على الأرض بين الناس في طباقتهم المختلفة، فهم عدل القرآن الكريم بنص رسول الله، والعدل الواحد لا يثبت من دون عدل حتى يتعادلا، وهما لا يفترقان شاء الناس أم أبوا. وهذا الأمر يستلزم التصديق بما ورد عنهم بحسب الضوابط التي أشير إليها؛ بوصفهم القرآن الناطق، والحجة بين الخلق، والفصيل الحق، والصراط المستقيم، والتطبيق العملي لكتاب الله تعالى)) (عباس الشاعر،٢٠١٤، ١٠٧).

وآيات أخرى لا حصر الله في ذكر أهل البيت عليهم السلام لا نريد أن نذكرها لانّ ذكرها أكبر بكثير من أن يحدد في حيز مقال أو كتاب.

٤ـ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في السنة النبوية الشريفة.

كان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أوّل سبطٍ ((ملأ قلب النبيّ صلى الله عليه وآله بجمال طفولته وروعة تحركاته واشراقة محيّاه، فتعاهده بالتربية وغذّاه من لسانه ونوّه بفضله وبمستقبله)) (الدباغ، سيرة المصطفى، ٣٨٧) ومن جملة أقوال النبيّ الأكرم في فضل الحسن وأخيه الحسين عليهما السلام:

١- الحسن والحسين مني وانا منهما من أحبّهما وأحبّ أباهما وأمهما كان معي في الجنة (السابق: ٣٨٨)

٢- اللهمّ إنيّ أحبّه فأحبه(ابن حجر، الصواعق: ٨٢).

٣- من سرّه أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن (البداية والنهاية، ج٣٤:٨)

٤- الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة، ما سميت العرب بهما في الجاهلية (أخرجه ابن سعد عن عمران بن سليمان).

٥- الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا (الدباغ، ٣٨٨).

٦- الحسن إبني وثمرة فؤادي (السابق ٣٨٨، نقلاً عن كنز العمال).

٧- الحسن والحسين سبطان من الأسباط (ابن حجر، الصواعق: ١١٤)

٨- من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني (نقلاً عن الدباغ، سيرة السبط الحسين الشهيد ٢٠٠٤، ٤٧).

٩- إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً (نقلاً عن السابق، ٤٨).

١٠- من أحبني وأحب هذين (الحسن والحسين) وإباهما وامهما كان معي في الجنة (نقلا عن احمد بن حنبل والترمذي).

١١- الإمام الحسن والحسين عليهما السلام إمامان إن قاما وإن قعدا.

٥ـ الإمام الحسن عليه السلام في نهج البلاغة:

وردت كلمة (الحسن) اسماً علماً في عدة كتب للإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة مشيراً إلى الإمام الحسن عليه السلام: فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام: ((يقوم بذلك الحسن بن عليّ)) (نهج البلاغة، الكتاب ٢٤) وقال في الكتاب نفسه: ((فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَ حُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ)) وقال أيضاً: ((والله لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة)) (نهج البلاغة، كتاب ٤١) وجاءت كلمة (حسن) في كنية للإمام عليّ بن أبي طالب حيث قال (سلام الله عليه): (فأنا أبو حسن) (نهج البلاغة، الكتاب العاشر) وجاءت كلمة(حسن) صفة مشبهة في قوله عليه السلام: ((ولا في حسن يستطيعون ازدياداً)) (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٨) وقال أيضاً: ((فانّه لم يأمرك إلاّ بحسن)) (نهج البلاغة، الكتاب رقم٥١) وكلمة (الحسنة) وهي مؤنث كلمة (الحسن) وقد جاءت في عدّة كتب للإمام عليّ عليه السلام وهي خارجة عن بحثنا.

٦ـ الإمام الحسن عليه السلام في رحاب الأدب.

١-٦- الكرم والسخاء

خُلق الكرم والجود، وكثرة الإنفاق في سبيل الله تعالى من الأخلاق القرآنية التي اتصفت بها النفوس الكريمة وتجسدت بعمق في شخصية الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وكان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيماً، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة: ﴿الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ثم وصفهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة، آية: ١ - ٥) وقد تأثر الإمام الحسن عليه السلام بالقيم القرآنية والقيم النبوية والتربية العملية في حضن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وانعكست ذلك على نفسيته وتركت لنا آثاراً بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم والإنفاق في شخصيته العظيمة، فقد كان على جانب عظيم من السخاء والجود، وكيف لا يكون كذلك وقد شبَّ وكبر في بيت أكرم الكرماء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وقد تسلسلت إليه هذه الخلة الكريمة وتشربتها نفسه في طفولته، وأخبار كرمه وجوده أصبحت مضرب الأمثال، وقدوة العظماء من الرجال.

كما نظّم الإمام الحسن اشعاراً بالكرم والجود والاحسان كثيرة ومنها:

عاجلتنا فأتاك وابلٌ برّنا ... طلا ولو أمهلتنا لم نقصر

فخذ القليل ولكن كأنّك لم تبع ... ما صنته وكأنّنا لم نشترِ

(القمي النجفي، ١٣٧٩هـ.ق: ج١، ٢٢٢)

وفي مقام آخر يرى الإمام أنّ الكرم والجود على الناس واجب إنساني وفرضية كبرى فرضها الله عزّ وجل على عباده إذ يقول:

إنّ السخاء على العباد فريضةً ... لله يقرأ في كتاب محكم

وعـــد العبـــاد الأســـخياء جنانـــه وأعـــدّ الـــبخلاء نـــار جهـــنم

مـــن كـــان لا تنـــدى يـــداه بنائـــل للـــراغبين فلـــيس ذلـــك بمســـلم

(ابن شهر آشوب،٣/١٨٣)

وفي موضع آخر يرى الإمام أنّ السعيد هو الذي يسأله الناس دوماً فأيام السخاء والجود تعتبر خيرة ايام حياته، وراح ينشد في هذا الصدد:

إذا مـــا أتـــاني ســـائلٌ قلـــت مرحبـــاً بمـــن فضـــله فـــرض علـــيّ مُعجـــلُ

ومـــن فضـــله فضـــل علـــى كـــل فاضـــل وأفضـــل أيـــام الفـــتى حـــين يســـأل

(على حيدر المؤيد،٢٠٠٢م: ٣٤٢)

٢-٦- الزهد.

الزهد ظاهرة نفسية ولها الأثر الأكبر في تكوين شخصية الإنسان وتنميتها، فالزهد لغة هو عدم الرغبة عن الشيء وتحقيره، والزهيد: الشيء القليل، والزاهد في الشيء: الراغب عنه والراضي منه بالزهيد، أي: القليل. قال تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف: ٢٠) أي اشتروه على غير رغبة فيه والزهيد: الحقير. وعطاء زهيد: قليل. وازدهد العطاء: استقله. والزهد والزهادة في الدنيا ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة، والزهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها: ضد الرغبة. فالزهد في الدنيا كما يقال هو ترك الحرص والقناعة بما رزق منها، والتواضع ضد التكبر، والتبختر، وحاصلهما ترك صحبة المال والجاه. فالزهد اصطلاحاً هو حنين الروح إلى مصدرها الأول ولمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها والرغبة عن نعيمها وتفضيل نعيم الآخرة عليها.

وروى القضاعي عن ابن عمرو عن الرسول عليه السلام وحسّنه السيوطي: ((الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن، والبطالة تقسي القلب)) وروى ابن النجار، عن عمار بن ياسر: ((ما عبد الله بشيء أفضل من

الزهد في الدنيا)) (نقلاً عن http://www.alokab.org/maqalat)

كان الإمام الحسن عليه السلام كلما قرأ في كتاب الله عزّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول: لبيك اللهمّ لبيك)) (القمي النجفي، ١٣٧٩هـ.ق،ج١:٢٢٢) وكان الإمام دوماً يعظ الناس إلى الزهد، في هذه الدار الفانية والحض على اعتزالها والرفض لها والندب إلى اعراض عنها والإقصار عن طلب اللذات ونهى النفس عن اتباع هواها، إذ يقول (السابق:٢٢٣):

قل للمقيم بغير دارِ اقامة ... حان الرحيل فودّع الأحبابا

إنّ الذين لقيتهم وصحبتهم ... صاروا جميعاً في القبور ترابا

وفي مقام الزهد يقول الإمام الحسن عليه السلام:

لكسرةٌ من خسيس الخُبز تشبعني ... وشربةٌ من قراح الماء تكفيني

وطرةٌ من رقيق الثوب تسترُني ... حيّاً وإن متُّ تكفيني لتكفيني

(ابن شهر آشوب٣/١٨١)

فالإمام يرى الشبع بكسرة الخبز والارتواء بشربة قدح ماء وهذه غاية الزهد كما يعتبر طرة من رقيق الثياب تستره خير من أن يلبس أجود وأفخر الثياب وكان بإمكانه أن يتناول أطايب الطعام وأن يلبس أفخر الثياب لكن زهده وتقشفه في الحياة والانقطاع عن الدنيا والقناعة بما رزق منها جعلته أن يعيش هانئاً سليماً معافاً بعيداً عن همّ الدنيا وغمها.

٣-٦- الرزق والرزاق.

يحث الإمام الحسن عليه السلام الناس إلى طلب الرزق والعطاء من الله عزّ وجل وأن يترفعوا عن منن وعطايا الآخرين، فالله عزّ وجل هو الذي تكفل بأرزاقهم وهو الذي يعطي بغير حساب ودلّت أكثر من آية في هذا الصدد إذ قال الله عزّ وجل:

وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ (المائدة:١١٤) وفي سورة أخرى قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الأنعام:١٤٢) وأيضاً قوله تعالى: و﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: ٨٨) وأيضاً قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال، ٣-٤) وآيات أخرى لا نريد أن نذكرها تجنباً من الإطالة في الموضوع.

وفي هذا الصدد راح الإمام الحسن يحفز الناس على طلب الرزق الحلال ويوصيهم بالورع:

اغنِ عن المخلوق بالخالق	تعن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله	فليس غير الله من رازق
من ظنّ أنّ الناس يغنونه	فليس بالرحمن بالواثق
أو ظنّ أنّ الرزق من كسبه	زلّت بِهِ النعلان من حالق

(ابن عساكر، د.ت: ١٨٦/١٤) وابن كثير، ٢٠٩/١٩٨٨:٨).

٣-٦- الوعظ والارشاد.

عَلِمَ الإمام الحسن عليه السلام من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته لوالده أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، ومن تفكره في هذه الحياة بأن الدنيا دار ابتلاء واختبار، فقد تربى على كتاب الله واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها وكان عليه السلام يقرأ كل يوم سورة الكهف ويمر على قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف، آية: ٤٥، ٤٦) فهذا المثل يدل على

حقارة الدنيا وقلة بقائها، ومصير ما فيها من النعيم والترف إلى الهلاك، ولما بيّن الله تعالى أن الدنيا سريعة الانقراض والزوال، بيّن أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا في عرف الناس، وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقضاء والانقراض، فيقبح بالعاقل الافتخار به أو الفرح بسببه[١] ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي أن أعمال الخير وأفعال الطاعات، كالصلوات والصدقات، والجهاد في سبيل الله، ومساعدة الفقراء والأذكار أفضل ثواباً، وأعظم قربة عند الله، وأبقى أثراً، إذ ثوابها عائد على صاحبها، وخير أملاً حيث ينال صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا[٢]، وتربى "الحسن بن علي" على منهج جده صلى الله عليه وآله الذي كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل صلى الله عليه وسلم، لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً شربة ماء[٣]، وقال صلى الله عليه وآله: ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ فلينظر بما ترجع[٤]، وقال صلى الله عليه وآله: ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))[٥]، وقد تأثر أمير المؤمنين الإمام الحسن بن علي عليه السلام بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النَّماذج الإسلامية في مقام الوعظ والارشاد والنصيحة.

لذلك راح في هذا المقام يقول:

قدّم لنفسك ما استطعت من التقى ... إنّ المنية نازل بك يا فتى

أصبحت ذا فرحٍ كأنّك لا ترى ... أحباب قلبك في المقابر والبلى

(ابن كثير، ٤١/٨)

ينصح الإمام في هذين البيتين الناس بتوخي الحذر من نزول الموت فجأة ووفاضهم خالٍ من أي حسنات واعمال صالحة تُذكر، لذلك يحذر الناس الإمام أن يتخذوا العبرة من أولئك (أحباب القلب) الذين خطفهم الموت وغيرهم وهم كانوا احباباً لهم. ولهذا السبب راح الإمام يكثر من ذكر الموت حتى تعي الناس هذه الحقيقة وتأخذ من التقى نصيباً لها قيل أن ينزل الموت بساحتهم.

الخاتمة:

- يعتبر أهل البيت - عليهم أفضل الصلاة والسلام - كلهم بمثابة القرآن الناطق وحجج الله على خلقه، دعانا القرآن الكريم بمودّتهم ومحبتهم واطاعتهم.
- يعتبر الإمام الحسن عليه السلام صفحة مشرقة وناصعة من التاريخ والحضارة الإسلامية، فكان عظيماً بإيمانه بالله عزّ وجل كما كان زعيماً دينياً كبيراً في سلوكه وخُلُقه وعمله.
- انعكست شخصية الإمام العظيمة مرات عديدة في آيات الذكر الحكيم، كما برزت في أكثر من حديث صحيح ومتفق عليه في قول النبيّ الأكرم.
- اعتبر النبيّ الأكرم الإمام الحسن عليه السلام بأنّه سيّد شباب أهل الجنة وريحانته في الدنيا وثمرة فؤاده وسبط من الأسباط...
- لا نستطيع حصر فضائله الواردة المتمثلة في أحاديث النبيّ الأكرم والإمام عليّ عليه السلام.
- اتخذ الإمام الحسن عليه السلام من القرآن دليلاً لهداية الناس وتثقيفهم وترشيدهم وتوضيح الرسالة السماوية لهم.
- راح الإمام في أقواله واشعاره يحث الناس عن الابتعاد من الانهماك في ملذات الدنيا وترك الواجبات الدينية وراح يوصيهم بالزهد والتقشف والسخاء والتوكل على الله.
- كان الإمام الحسن في سخائه وعطائه الغزير يضرب به المثل ويرى الإمام الجود والإكرام فريضة ملزومة، ستؤدي إلى انعاش حياة الناس وانقاذها.
- كان شعر الإمام كله يدور حول الوعظ والورع والزهد والاحسان والكرم والارشاد والاقبال على الله والتوكل عليه والادبار عن الدنيا الفانية.

هوامش البحث

(١) التفسير المنير (٢٥٩/١٥) .
(٢) التفسير المنير (٢٦١/١٥) .
(٣) سنن الترمذي رقم ٤١١٠ صحيح غريب .
(٤) مسلم رقم ٢٨٥٨ .
(٥) مسلم رقم ٢٨٥٦ .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد(١٣٧٥): شرح نهج البلاغة، طهران، دار الكتب الإسلامية.
- ابن عساكر، علي بن عبدالحسين (١٣٣٣هـ.ق): تاريخ دمشق، روضة الشام.
- ابن كثير (١٩٨٨): البداية والنهاية، تحقيق على شيري، بيروت، دار احياء التراث العربي.
- اربلي، أبو الحسن على بن عيسى(١٣٨١ق)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تبريز، مكتبة بني هاشمي.
- أميني، عبد الحسين (٢٠٠١م): الغدير، تحـ مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم.
- الخزار القمي الرازي، أبو القاسم على بن محمد (١٤٠١هـ): كفاية الأثر في النص على الأئمة الأثنى عشر، قم، مطبعة الخيام.
- الدباغ، محمد رضا عباس(٢٠٠٢): سيرة المصطفى، بيروت، دار المحجة البيضاء.
- الزيات أحمد حسن وآخرون(١٩٧٢): معجم الوسيط، تركيا، استانبول، المكتبة الإسلامية.
- الطباطبائي محمد حسين (١٩٧٢): الميزان في تفسير القرآن الكريم، لبنان، بيروت.
- عباس الشاعر، حسن عبد المجيد (٢٠١٤):حضور القرآن الكريم في كلام الإمام الحسن عليه السلام، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مجلد١٧، العدد١٠.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٢٠٠٣): القاموس المحيط، بيروت، دار احياء التراث العربي.

- القرشي، باقر شريف (١٩٩٣):حياة الإمام الحسن بن علي، دار البلاغة، بيروت.

- القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج (د.ت): صحيح مسلم، تحـ محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار احياء التراث

- القمي النجفي، شيخ عباس(١٣٧٩هـ.ق): منتهى الآمال، إيران، طهران.

- المازندارني، محمد بن شهر آشوب (١٩٥٦): مناقب آل أبي طالب، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية.

- مجلسي، محمد باقر (١٤٠٤ق): بحار الأنوار، بيروت، مؤسسة الوفاء.

- المؤيد، علي حيدر(٢٠٠٢): ديوان أهل البيت، بيروت، دار العلوم للطباعة والنشر.

مصادر الانترنت:

http://www.alokab.org/maqalat